المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي
مركز البحث العلمي

قُطُوفٌ مِنْ أَحْوَالِ السَّلَفِ
فِي رَمَضَانَ فِي مَأْرِزِ الإِيمَانِ



إعداد
مركز البحث العلمي
لعام: ١٤٣٩هـ





المطبوعات والنشر بالمسجد النبوي
رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد الله الذي خصَّ بالفضل والتشريف شهر رمضان، وأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، واختصه بالعفو والغفران، وبالعتق من النيران، وأيقظ بالوعظ من وفقه في هذا الموسم العظيم لاغتنام الخيرات.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الفضل والإحسان، وأشهد أن محمد عبده ورسوله سيد ولد عدنان. أما بعد:

فإن شهر رمضان من أعظم الشهور وأفضلها، شهرٌ يعظم الله فيه الأجر، ويجزل المواهب، ويفتح أبواب الخير فيه لكل راغب ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾[١]،اشْتَهَرت بفضلِهِ الأخبار، وتَوَاتَرَت فيه الاثار، ففِي الصحِيْحَيْنِ: عن أبي هريرة ﵁ أنَّ النبي ﷺ قال: «إِذَا جَاءَ رمضانُ فُتِّحَت أبوابُ الجنَّةِ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النار، وصُفِّدتِ الشَّياطينُ»[٢].

وقد كان لسلفنا الصالح، الذين عاشوا في القرون الثلاثة المفضلة؛ وأولهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن بعدهم من التابعين، أحوال وأقوال مستقاة من الإمام القدوة رسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ جوادا كريما، يطعم الطعام، ويقرأ القرآن، ويقوم الليل حتى تتفطر قدماه، إلى غير ذلك من العبادات والطاعات التي يضاعفها صلى الله

---

(١) مجالس شهر رمضان لابن عثيمين رحمه الله ص (٧-٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٢٥) رقم الحديث: ١٨٩٨. ومسلم في صحيحه (٢/٧٥٨) رقم الحديث:١٠٧٩.

عليه وسلم في رمضان أكثر من غيره من الأزمان، والسلف الصالح على أثره ماضون، وعلى خطاه سائرون، تنوعت عباداتهم، وعلت هممهم، فشمروا فيه عن ساعد الجد، واجتهدوا في العمل الصالح طمعاً في مرضاة الله، ورجاءِ في تحصيل ثوابه..

ومن هذا المنطلق رأينا أن نذكر شيئا من فضائل بعض الأعمال، ونماذج من أحوال السلف الصالحين، وكيف كان اعتنائهم واجتهادهم في أعمال البر في هذا الشهر المبارك في بحث موسوم ب(قطوف من أحوال السلف في رمضان في مأرز الإيمان)حتى نلحق بذلك الرعيل، ونكون ممن عرف حقّ هذا الشهر فعمل له وشمّر، وجد واجتهد.

أسأل الله العظيم أن يبارك في الجهد، وأن ينفعنا به، وأن يجعله خالصاً الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المراد بسلف هذه الأمة، وفضائل شهر رمضان

المراد بسلف هذه الأمة.

أولا: المراد بالسَّلف في اللغة:

السَّلف: جمع سَالِف على وزن حَارِس وحرس، وخَادِم وخدم، والسَالِف الـمُتقدِم، والسَّلف الجماعة المتقدمون[1]، ومن ذلك قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [2] يقول: جعلناهم سلفاً متقدمين ليتعظ بهم الآخرون[3].

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (السين، واللام، والفاء) أصلٌ يدل على تقدم وسبق، من ذلك السَّلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون[4].

ثانياً المراد بالسَّلف اصطلاحا:

تعددت أقوال العلماء في بيان المراد بمصطلح السَّلف إلى أقوالٍ كثيرة، لكن القول الصحيح المشهور الذي عليه جمهور أهل السنة أنَّ المقصود بالسَّلف الصالح هم: أهل القرون الثلاثة المفضلة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيريّة، حيث قال: "خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[5].فالسَّلف الصالح هم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون وتابعو التابعين رحمهم الله[6].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور(٩/ ١٥٨).

(٢) سورة الزخرف آية: (٥٦).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/٢٩٩).

(٤) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٣) رقم الحديث: ٣٦٥١. ومسلم في صحيحه (١٩٦٢/٤) رقم الحديث:٢٥٣٣.

(٦) انظر: معتقد أهل السنة (ص٥٤).

فضائل شهر رمضان:

يتميز شهر رمضان عن غيره من الشهور بالعديد من الفضائل، والكثير من القربات التي تتضاعف فيها الأجور، وتكثر فيها الحسنات؛ ومن أهم هذه الفضائل:

١- إنَّه شهرٌ خصّه الله تعالى بأنْ أنزل فيه القرآن على نبيّه محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾[١].

٢- إنَّ صيام شهر رمضان يُكفّر الله به الخطايا باستثناء الكبائر[٢]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتُنِبَت الكبائر»[٣].

٣- يُعَدُّ شهر رمضان شهر الجود والإنفاق، وإدخال السرور على الفقراء والمساكين والمحتاجين فقد كان رسول الله ﷺ أجود ما يكون في رمضان، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، كان أجودُ ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريلُ يلقاه في كل

(١) سورة البقرة آية: (١٨٥).

(٢) الكبائر لابد لها من توبة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) رقم الحديث: ٢٣٣.

ليلة من رمضان، فيُدارسه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ حين يلقاه جبريلُ أجودُ بالخير مِن الريحِ المُرسَلة»[1].

٤- إنَّ أَجرَ العمرةِ في هذا الشهر كأجرِ حجةٍ مع النبي ﷺ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: لامرأةٍ من الأنصار يقال لها أم سنان: «ما منعك أن تكوني حججت معنا؟» قالت: ناضحان كانا لأبي فلان - زوجها - حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي عليه غلامنا، قال: «فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي»[2].

٥- يُعتبر شهر رمضان فرصة عظيمة لمدراسة القرآن، وتلاوته، وتدبّر معانيه، والتدرّب على فهمه وتحليله، واستنباط المقصود من آياته، ومعرفة أحكامه الشرعية للعمل بها، فعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.. ».

٦- إنَّ الاعتكاف[3] في رمضان مستحبٌ، ومرغبٌ فيه، وقد كان رسول اللهُ ﷺ حريصا على الاعتكاف فيه، فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده"[4].

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٦/٦) رقم الحديث: ٤٩٩٧. ومسلم في صحيحه (١٨٠٣/٤) رقم الحديث: ٢٣٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/٣) رقم الحديث: ١٨٦٣. ومسلم في صحيحه (٩١٧/٢) رقم الحديث: ١٢٥٦.

(٣) الاعتكاف: لغة المواظبة والملازمة، ومنه ﴿ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ ﴾ سورة الأعراف آية: (١٣٨)، والمقام والاحتباس، وأما في الشرع: فهو حبس النفس في المسجد عن التصرف العادي بالنية. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٥٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨/٣) رقم الحديث: ٢٠٢٦. ومسلم في صحيحه (٨٣١/٢) رقم الحديث: ١١٧٢.

٧- أنَّ فيه ليلة تُعتبر هي أعظم ليلةٍ في السنة، في هذه الليلة تُغفر للمسلمين الخطايا، وفي قيام هذه الليلة الكثير من الأجر، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ، قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

أخي المسلم.. أختي المسلمة.. الأعمال في هذا الشهر كثيرة، والأجور مضاعفة، فينبغي علينا اغتنامه بكثرة الطاعات، والاستزادة من القربات، والبعد عن المحرمات وكل ما لا يرضي رب الأرض والسموات.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٦) رقم الحديث: ٢٠١٤. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢٣) رقم الحديث: ٧٦٠.

حال السَّلف في الاستعداد لشهر رمضان

فضل الاستعداد لشهر رمضان:

شهر رمضان شهرٌ عزيزٌ علينا، شهرٌ لطالما اشتاقت قلوب الصالحين لمقدمه، وازدانت أرواحهم ومهجهم لحلوله، كيف لا؟!! وهو موسم للطاعات، واغتنام الحسنات، والتطهير من السيئات والرفعة في أعلى الدرجات، والقرب من رب الأرض والسماوات.

شهرٌ كان النبي ﷺ يُبشرُ فيه أصحابه فيقول لهم ﷺ : "أتاكم رمضان، شهرٌ مباركٌ فرض الله – عز وجل – عليكم صيامه، تُفتَح فيه أبواب السماء، وتُغلَق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه مَرَدة الشياطين، لله فيه ليلة هي خيرٌ من ألفِ شهر، من حُرِمَ خيرُها فقد حُرِم"[(١)].

وفي هذا المعنى أيضا يقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه " إذا كان أولُ ليلةٍ من شهرِ رمضان صُفِدت الشياطين، ومردة الجن، وغُلِقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، و يا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة"[(٢)].

فأعظِمْ بها من بشارة يزفها النبي ﷺ لأمته .

---

(١) أخرجه النسائي في السنن (١٢٩/٤) رقم الحديث: ٢١٠٦. قال الإمام الألباني: صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢٤١/١).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٥٧/٣) رقم الحديث: ٦٨٢. قال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع (١٩٣/١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ قال بعض العلماء: "كيف لا يُبشَّر المؤمن بفتح أبواب الجنان، كيف لا يُبشَّر المذنب بغلق أبواب النيران، كيف لا يُبشَّر العاقل بوقتٍ يُغَلُّ فيه الشيطان، من أين يشبه هذا الزمانُ زمان؟"(١).

أخي الحبيب...لقد كان السَّلف يفرحون بقدوم شهر رمضان، ويحمدون الله على إدراكه، كيف لا وهو ركن ركين، وأصل متين، يقوم عليه صرح الدين. فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: "بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت"(٢).

(١) انظر: لطائف المعارف (١/١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١١) رقم الحديث: ٨. ومسلم في صحيحه (١/٤٥) رقم الحديث: ١٦.

حال السَّلف في استقبال شهر رمضان.

كان السَّلف رضي الله عنهم يستقبلون شهر رمضان استقبالاً يُخالف غيره من شهور السنة، فيفرحون بقدومه، ويبتهجون بحلوله..

فقد كانوا رضي الله عنهم يستعدون لرمضان بالدعاء، فقد ورد عن بعض السَّلف أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر بعدها حتى يُتقبَل منهم(١).

فيدعون الله أن يبلغهم رمضان على خيرٍ في دينهم وأبدانهم، وأن يعينهم على طاعته فيه، وأن يتقبل منهم أعمالهم.

قال عبد العزيز بن مروان رحمه الله: كان المسلمون يقولون عند حضور شهر رمضان: "اللهم قد أظلنا شهر رمضان، فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد والقوة والنشاط، وأَعِذْنَا فيه من الفتن"(٢).

وكانوا رضي الله عنهم يستعدون لإحياء ليله بالقيام بين يدي الله عزوجل، فقد كانوا إذا دخل رمضان صلوا التراويح بالمسجد النبوي متفرقين فجمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إمامٍ واحدٍ، فكان رضي الله عنه أول من جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان.

فعن عبد الرحمن بن عبد القاري رحمه الله أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط،

(١) انظر: الترغيب والترهيب لأبي القاسم التيمي (٢/٣٥٤).

(٢) انظر: وظائف رمضان للعمري (ص: ١١)

فقال عمر رضي الله عنه: «إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد، لكان أمثل» ثم عزم، فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه، ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر رضي الله عنه: «نِعْمَ البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون» يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله (١).

ولم يكونوا يستعدون له بالأطعمة المختلفة، والأشربة المتنوعة كما هو حالنا الآن!!، بل كانوا يقتصرون على ما يُقَويهِم على طاعة الله عزوجل فعن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم ثلاث أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه»(٢).

فهيًّا أخي المسلم.. أختي المسلمة.. لنحرق نار الهوى والمعاصي، ولنرجع إلى ربنا الرحيم الذى يقبل توبة عبده إذا تاب إليه وأناب.

أتى رمضان مزرعة العباد ... لتطهير القلوب من الفساد

فأد حقوقه قولا وفعلا ... وزادك فاتخذه للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها ... تأوه نادما يوم الحصاد(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٤٥) رقم الحديث: ٢٠١٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٦٧) رقم الحديث: ٧٩٤٥. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال عنه الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٢/٩٩٠).

(٣) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٨).

وقال آخر:

إذا رمضـــــان أتـــــى مـــقبــــــلا فـــأقبـــل بالخـــير يستـــقـــبـــل

لعـــلـــك تخـــطـــئـــه قـــابــــــــلا وتـــأتي بعـــذر فـــلا يقـــبـــل[1].

فحريٌّ بنا أخي الكريم.. أختي الكريمة.. أن نستقبل هذا الشَّهر كما كان سلفنا الصالح يستقبلونه بالفرح والاستبشار والدعاء بأن يبلغنا رمضان ويرزقنا استغلاله على الوجه الذي يرضاه عنا، وكذلك الاستعداد لقراءة القرآن وقيام الليل، وسائر أعمال البر.

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٩).

حال السَّلف في قراءة القرآن، وتدبره

فضل قراءة القرآن:

لا شك أن قراءة القرآن في شهر القرآن لها فضلٌ عظيمٌ، وثوابٌ جزيلٌ، ولهذا يقول الله جلَّ في عُلاه مُثنياً على الذين يتلون كتابه، ومبيِّنًا سبحانه الأجر والفضل المترتب على تلك التجارة الرابحة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠ ﴾[١].

وقد حثَّ الرحمة المهداة ﷺ على قراءة القرآن، وبيَّن الأجر المترتب على قراءته فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[٢].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل»[٣].

---

(١) سورة فاطر الآيات: (٢٩-٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (١٧٥/٥)رقم الحديث: ٢٩١٠. وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١١٠٣/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (٥٥٢/١) رقم الحديث: ٨٠٣.

بل عُدَّ الماهرُ بالقرآنِ مع السفرةِ الكرام البررة، وجُعِلَ لمن يتلوه مع المشقة أجران فعن عائشة ﵂أن النبي ﷺ قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة[1]، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه[2].وهو عليه شاق له أجران»[3].

أخي الحبيب: احرص على الإكثار من تلاوة كتاب ربك فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لك عند الله في يوم تحتاج فيه إلى الحسنة الواحدة، فعن أبي أمامة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»[4].

وقال ﷺ: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، يقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان"[5].

---

(١) قال الإمام النووي ﵀ في شرح الحديث: الماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه، والسفرة جميع سافر ككاتب وكتبة، والسفرة الرسل؛ لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله وقيل السفرة الكتبة والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة انظر: شرح النووي على مسلم (٨٤/٦).

(٢) وقال الملا قاري : وليس معناه أن الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً؛ لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة. انظر: مرقاة المفاتيح (١٧٥/٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٦/٦) رقم الحديث: ٤٩٣٧. ومسلم في صحيحه (٥٤٩/١) رقم الحديث: ٧٩٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٥٣/١) رقم الحديث: ٨٠٤.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٩/١١) رقم الحديث: ٦٦٢٦. قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٧٢٠/٢). قال الترمذي –رحمه الله– تعليقًا على هذا الحديث: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن. ومثله للمناوي، وابن عثيمين رحمهما الله. انظر: سنن الترمذي (٥/ ١٦٠)، فيض القدير (٤/ ٢٥٢)، شرح رياض الصالحين (٦٣٧/٤).

وحثَّ رسول اللهﷺ على تلاوة كتاب الله وتفسيره ومعرفة معانيه فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٧٤) رقم الحديث: ٢٦٩٩.

حال السَّلف مع القرآن في رمضان.

كان السَّلف الصالح ﵃ يكثرون من تلاوة القرآن في رمضان في الصلاة وفي غيرها، فهذا عثمان بن عفان ﵁ كان يختم القرآن كل يوم مرة[١].

قال السائب بن يزيد ﵁ : "كان القارىء يقرأ بالمئين - أي المئات من الآيات- حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، و ماكانوا ينصرفون إلا عند الفجر"[٢].

قال علقمة بن قيس ﵀: "بت مع عبدالله بن مسعود ﵁ ليلة، فقام أول الليل يصلي، فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيِّه، يرتل و يسمع من حوله، و لا يرجع صوته حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها، ثم أوتر"[٣].

أما ما ورد من النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاثة فقد حمله العلماء على أحوال معينة قال ابن رجب ﵀ إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان والأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٥٥٥) رقم الأثر: ٤٠٥٩. قال ابن حجر: وصح عن جماعة من الصحابة أنهم أوتروا بواحدة من غير تقدم نفل قبلها ففي كتاب محمد بن نصر وغيره بإسناد صحيح عن السائب بن يزيد أن عثمان قرأ القرآن ليلة في ركعة لم يصل غيرها. انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/٤٨٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٦٩٨) رقم الحديث: ٤٢٨٧. قال الألباني: إسناده صحيح انظر: صلاة التراويح (ص: ٥٣).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/٢٨٠) رقم الأثر: ٩٤٠٤. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢/٢٦٧).

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٧١).

فاجتهدوا إخواني الكرام في كثرة قراءة القرآن، لا سيما في هذا الشَّهر الذي أُنزل فيه، فإن لكثرة القراءة فيه مزايا خاصة.

واقتدوا رحمكم الله بهؤلاء الأخيار، واتبعوا طريقهم تلحقوا بالبررة الأطهار، واغتنموا ساعات الليل والنهار، بما يقربكم إلى العزيز الغفار، فإن الأعمار تطوى سريعًا، والأوقات تمضي جميعًا وكأنها ساعة من نهار.

حال السَّلف في تدبر القرآن.

أخي المسلم... أختي المسلمة إذا أردنا أن نتذوق ثمرة تلاوة القرآن فلابد من تلاوته بتدبر وخشوع وتفكر، فلم يكن من هدي السَّلف هَذّ القرآن هَذّ الشعر من غير تدبرٍ وفهمٍ، بل كانوا يتأثرون بكلام الله عزوجل، ويحركون به القلوب.

فعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال لي النبي ﷺ «اقرأ علي»، قال: أقرأ عليك، وعليك أنـــزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»، قال: فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قولـــه:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1]،فبكى ﷺ [2].

قال ابن بطال ﵀ : قوله: (اقرأ علي) فيه أن القراءة من الغير أبلغ في التدبر والتفهم من قراءة الإنسان بنفسه[3].

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه ﵁ قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلى وبجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء[4].

(١) سورة النساء آية: (٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٤٥) رقم الحديث:٤٥٨٣ .ومسلم في صحيحه (١/٥٥١) رقم الحديث: ٨٠٠.

(٣) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨/١٧٤).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٦/٢٣٨) رقم الحديث: ١٦٣١٢. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن عبد الله بن عروة بن الزبير ﵁ قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر ﵄: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ فقالت: "كما نعتهم الله تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم"[(١)].

وعن الحسن البصري ﵀ قال: قرأ عمر بن الخطاب ﵁: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾[(٢)] فربا ربوة عيد منها عشرين يوما[(٣)][(٤)].

وقال عبيد بن عمير ﵀ : صلى بنا عمر صلاة الفجر فقرأ سورة يوسف حتى إذا بلغ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ۝٨٤﴾[(٥)] بكى حتى انقطع فركع[(٦)].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الأيمان (٣/٤١٧) رقم الحديث: ١٩٠٠.

(٢) سور الطور الآيات: (٧-٨).

(٣) أخرجه تقي الهندي في كنز العمال (١٢/٥٨٩) رقم الحديث: ٣٥٨٣٢.

(٤) قال ابن فارس: الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على أصل واحد، وربا: أصابه الربو؛ والربو: علو النفس. انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤٨٣). قلت: المراد والله أعلم أنه مَرِضَ ﵁ لتأثره عند تلاوته لتلك الآيات.

(٥) سورة يوسف آية: (٨٤).

(٦) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٢٨١)

الأسبابالمعينة على تدبر القرآن.

تدبر القرآن مهم جدًّا، إذ لا تقل أهمية تدبر القرآن عن قراءته لما له من تأثير كبير في زيادة إيمان العبد، ومعرفته بالله سبحانه وهذه بعض الأسباب التي تُعين على تدبر القرآن:

السبب الأول: طهارة القلب من الكِبْرِ والهوى والتّكذيب والتّعلق بغير الله سبحانه وتعالى.

فطهارة القلب من هذه الأمور، تجعل الإنسان حينما يقرأ القرآن يقرأه بتدبر وخشوع، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[1].

السبب الثاني: طهارة البدن.

ينبغي لقارئ القرآن أن يقرأه وهو على طهارة غير محدث، وأن يقرأ القرآن في المكان الطيب وهو متوضئ؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[2]، ولقول النبي ﷺ : " لا يمس القرآن إلا طاهر"[3]. فإنَّ ذلك أجمع لقراءة القرآن وتفهمه وتدبره.

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٤٦).

(٢) سورة الواقعة آية: (٧٩).

(٣) أخرجه الدار قطني في السنن (١/ ٢١٩) رقم الحديث: ٤٣٧. قال عنه الألباني: صحيح. انظر: إرواء الغليل (١/ ١٥٨).

السبب الثالث: الإنصات.

يُعَدُّ الإنصات من الأمور المهمة التي يَغفلُ عنها كثير من الناس، فتجدهم عند تلاوة كتاب الله يتشاغلون بالأحاديث الجانبية، وبأمورٍ أخرى، وينسون أمر الله بالإنصات لآياته، التي تزيد من إيمان العبد وتورثه تدبراً، وهيبةً، وخشيةً، وتذللاً بين يدي مولاه، يقول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: ذِكْرُهُ –سبحانه وتعالى– للمؤمنين به، المصدقين بكتابه، الذين القرآنُ لهم هدى ورحمة: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ﴾ ، عليكم، أيها المؤمنون، ﴿ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ ﴾ يقول: أصغوا له سمعكم، لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه ﴿ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ [2].

السبب الرابع: الخشوع عند تلاوة القرآن.

ينبغي لقارئ القرآن أن يخشع عند تلاوته لكتاب الله العزيز، وأن يتدبر معانيه، فإن ذلك يزيد من تذوق ثمرة تلاوة كتاب الله تعالى.

قال الله سبحانه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف آية: (٢٠٤).

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري(١٣/٣٤٤).

(٣) سورة الحشر آية: (٢١).

حال السَّلف مع الإنفاق في رمضان

أخي الكريم.. أختي الكريمة.. بادروا بالصدقة في رمضان بحسب الحال.. إذ إنَّ للصدقة مزيَّة وخصوصيَّة لا سيما في هذا الشَّهر، وقد كان لسلفنا الصالح عناية بالصدقة، وإطعام الطعام، والانفاق في سبيل الله، وقبل أن نذكر شيئا من حالهم، سنذكر بعض النصوص في فضائل الجود والكرم في رمضان وفي غيره.

فضل الإنفاق والجود في سبيل الله.

وردت آيات وأحاديث كثيرة تحثُّ على الإنفاق في سبيل الله، وتبين فضله في رمضان وفي غيره من الشهور، منها:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾[1].

٢- قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾[2].

٣- قوله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾[3].

٤- قوله جلَّ في علاه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾[4].

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٥٤).

(٢) سورة البقرة آية: (٢٦١).

(٣) سورة المنافقون آية: (١٠).

(٤) سورة المزمل آية: (٢٦١).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما تصدق أحدٌ بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كفِّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فُلوَّه[1] أو فصيله»[2].

٦- عن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة»[3].

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان كذا، ولفلان كذا وقد كان لفلان»[4].

(١) قال الجوهري: الفلو، بتشديد الواو: المهر؛ لأنه يفتلى، أي يفطم. انظر: تاج العروس (٣٩/٢٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٧٠٢) رقم الحديث: ١١١٤.

(٣) أخره النسائي في السنن الكبرى (٥/٩٢) رقم الحديث: .قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٢/٧١٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/١١٠) رقم الحديث:١٤١٩.

حال السَّلف مع الإنفاق في سبيل الله:

كان لسلفنا الصالح عناية خاصة بالإنفاق في سبيل الله في رمضان وفي غيره من الشهور، وسنبدأ بذكر حال سيد الخلق ﷺ مع الصدقة والجود في سبيل الله ثم نعقبه بذكر الأثار عن بعض السَّلف من بعده ﷺ.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، قال: فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل «أجود من الريح المرسلة»(١).

قال الشافعي رحمه الله: أُحبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً برسول الله ﷺ ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم وتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم(٢).

وقد كان وجوده ﷺ عاماً وطيلة العام بل كان بأبي هو وأمي من أحسن الناس، وأشجعهم وأجودهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، وأجود الناس(٣).

ولهذا قالت له خديجة رضي الله عنها في أول مبعثه: والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق"(٤).

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٥).

(٢) انظر: القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان (ص: ١١٦)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/٤) رقم الحديث: ٢٨٢٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩/٩) رقم الحديث: ٦٩٨٢. ومسلم في صحيحه (١٤١/١) رقم الحديث: ١٦٠.

بل كان ﷺ إذا سئل عن شيء أعطاه ولو كان محتاجا إليه، فعن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا فقال لا، وأنه قال لجابر: "لو جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا وقال بيديه جميعا"[1].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن شملة أُهديت للنبي ﷺ فلبسها وهو يحتاج إليها، فسأله إياها رجل فأعطاه فلامه الناس وقالوا: كان محتاجا إليها وقد علمت أنه لا يَردُّ سائلا فقال: إنما سألتها لتكون كفني فكانت كفنه[2].

قلت: فإذا كان هذا حال المصطفى ﷺ في غير رمضان فكيف يكون حاله في رمضان؟!!.

وقد وصفه ابن عباس رضي الله عنهما: بأنه أجود من الريح المرسلة".

وانظر يا رعاك الله إلى تلامذة المصطفى ﷺ في تسابقهم على الإنفاق في سبيل الله فعن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ : «ما أبقيت لأهلك؟»، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٩٨) رقم الحديث: ٢١٦٤. ومسلم في صحيحه (٤/١٨٠٦) رقم الحديث: ٢٣١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٧٨) رقم الحديث: ١٢٧٧.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (٢/١٢٩) رقم الحديث: ١٦٧٨. قال عنه الألباني: قلت: إسناده حسن. انظر: صحيح أبي داود (٥/٣٦٦).

بل كانوا يحرصون على أن ينفقوا أفضل ما لديهم فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس ﷺ: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(١) قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾(٢) وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»(٣).

وهذا عثمان بن عفان ﷺ لما سمع النبي ﷺ يَحضُ على الإنفاق في تجهيز جيش العسرة، جاء بتسعمائة بعير برواحلها، ومراكبها، ونفقاتها، وسلاحها، فقال رسول الله ﷺ: " ما يَضُرُّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ "(٤).

(١) سورة آل عمران آية: (٩٢).

(٢) سورة آل عمران آية: (٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١١) رقم الحديث: ٢٧٦٩.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (٦/ ٦٧)، رقم الحديث: ٣٧٠١، قال عنه الألباني حسن انظر: مشكاة المصابيح (٣/ ١٧١٣).

وقد كانوا رضي الله عنهم يتعهدون أقاربهم وأرحامهم بالإنفاق، ولم يكن ذلك مقتصرًا على الرجال بل كان للنساء دور بارز في ذلك، فعن عن زينب امرأة عبد الله رضي الله عنها **قالت: كنت** في المسجد، فرأيت النبي ﷺ فقال: «تصدقن ولو من حليكن» وكانت زينب رضي الله عنها تنفق على عبد الله رضي الله عنه، وأيتام في حجرها، قال: فقالت لعبد الله: سل رسول الله ﷺ أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنتِ رسول الله ﷺ فانطلقتُ إلى النبي ﷺ، فوجدتُ امرأةً من الأنصار على الباب، حاجتها مثل حاجتي، فمرَّ علينا بلال رضي الله عنه، فقلنا: سل النبي ﷺ أيجزي عني أن أنفق على زوجي، وأيتام لي في حجري؟ وقلنا: لا تخبر بنا، فدخل فسأله، فقال:«من هما؟» قال: زينب، قال: «أي الزيانب؟» قال: امرأة عبد الله، قال: «نعم، لها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة»[1].

قلت: فإذا كان هذا حالهم مع الجود والإنفاق في سبيل الله في غير رمضان، فكيف يكون حالهم في رمضان، وقدوتهم في ذلك سيد الخلق، والرحمة المهداة ﷺ.

فيا أخي الصائم: للصدقة في رمضان خصوصية ليست في غيره، فبادر إليها فلعلك لا تدرك رمضان آخر، أطعم الطعام لتكن ممن امتدحهم القرآن: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٢١) رقم الحديث: ١٤٦٦، ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٤)، رقم الحديث: ٤٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/ ٦٩، واللفظ له.

(٢) سورة الإنسان آية: (٨).

واسمع إلى المصطفى ﷺ يوم يقول: "أيما عبد مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم"(١).

سبحان الله!! ما أعظم الأجر! وما أيسر العمل على من يسره الله عليه!

ويقول ﷺ : "من فطر صائما كان له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء، ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة "(٢). الله أكبر! هبت رياح الجنة في رمضان فاغتنموها أحبابي الكرام! ادخلوا السرور في هذا الشَّهر على قلوب إخوانكم الفقراء، اقضوا ديونهم، أطعموا جائعهم تكونوا ممن أحبكم الله، فعن ابن عمر رضي الله عنه، أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة، شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله عز وجل قلبه أمنا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام» (٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦٣٣/٤) رقم الحديث: ٢٤٤٩. قال عنه الترمذي: هذا حديث غريب وقد روي هذا عن عطية، عن أبي سعيد موقوفا، وهو أصح عندنا وأشبه.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (١٦٢/٣): رقم الحديث: ٨٠٧. قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٤٠/٦) رقم الحديث: ٦٠٢٦. قال عنه الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع (٩٧/١) .

أخي المسلم: تفقد من حولك من الأرامل والمساكين، اصنع المعروف مع إخوانك احرص على الصدقة في سبيل الله لاسيما في هذا الشَّهر، وأبشر بالأجر من رب كريم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»[1].

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ : «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خُفيا تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف»[2].

واستمع إلى قول رسول الله ﷺ في استقرار النعم، وأثر الصدقة في داوء المرضى، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يُقرهم فيها ما يبذلونها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم»[3].

وعن الحسن رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ : «داووا مرضاكم بالصدقة»[4].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢/٧) رقم الحديث: ٥٣٥٣. ومسلم في صحيحه (٢٢٨٦/٤) رقم الحديث: ٢٩٨٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٦٣/٦) رقم الحديث: ٦٠٨٦. قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٧٠٧/٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣، ٢٠٧/١٤) رقم الحديث: ١٣٩٢٥. وحسنه الألباني في السلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٦٤/٤) رقم (١٦٩٢).

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (ص: ١٢٨) قال عنه الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع (٦٣٤/١).

حال السَّلف مع الذكر والدعاء

الذكر والدعاء قوت لقلب المؤمن، إذ لا يمكن أن نتصور حياة القلب بدونهما، ولما كان الأمر كذلك اهتم سلفنا الصالح بذلك اهتماماً كبيرًا، وسنورد في هذا السطور؛ فضل الذكر والدعاء، مع ذكر نماذج من أحوال السَّلف في ذكر الله ودعائه سبحانه:

فضل الذكر والدعاء:

الذكر والدعاء من أفضل الأعمال التي حثَّ الله عليها في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾[1]، وأثنى الله عزوجل على الذاكرين، ورتبَّ على ذكرهم له جلَّ في علاه الثواب الجزيل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾[2].

وقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[3].

تأمل أخي الكريم إلى مناسبة ذكر الله سبحانه لآية الدعاء بعد آيات الصيام تجدُ أنَّ فيها لفت نظر الصائم إلى ما امتنَّ الله عليه من نعمة الدعاء، ومعلوم أن دعوة الصائم لا تردُّ.

(١) سورة الأحزاب آية: (٤١).

(٢) سورة الأحزاب آية: (٣٥).

(٣) سورة البقرة آية: (١٨٦).

لحديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم"(١).

حال السَّلف مع ذكر الله ودعاءه:

كان للسلف ﵃ حال أخرى مع ذكر الله عزوجل، ودعائه مقتفين في ذلك أثر حبيبهم ﷺ، ومن آثارهم في ذلك:

جلس عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود ﵃ فقال عبد الله ابن مسعود ﵁: لأنْ آخذ في طريق أقول فيه: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل، فقال عبد الله بن عمرو ﵁: "لأن آخذ في طريق فأقولهن أحب إلي من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عز وجل"(٢).

وروي عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه كان يدعو في القنوت: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم»(٣).

وقال أبو هريرة ﵁ : "إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم"(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٦٣/١٥) رقم الحديث: ٩٧٤٣. قال المحقق شعيب الأرنؤوط: والحديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) أخرجه أبو بكر ابن أبي شيبة في مصنفة (٦/ ٩٢) رقم الأثر: ٢٩٧٣١. قال محقق كتاب المطالب العالية: صحيح. (١٤/ ١٢٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١١/٣) رقم الأثر: ٤٩٦٩.

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٣٤٣/١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[١] له وجهان: أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه، والآخر: أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه[٢].

وكان أبي بن كعب رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللهم إنَّا نستعينك، ونستغفرك، ونثني عليك فلا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك، ونرجو رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق»[٣].

فشهر رمضان موسم من مواسم الأعمال، ينبغي للمسلم أن يجدَّ فيه ويجتهد بالذكر، والدعاء بالمغفرة، وبالرحمة، وبالتوفيق، والسداد، وبسؤال الجنة، وبالنجاة من النار، وبتكفير الذنوب، وبرفع الدرجات، وما أشبه ذلك من خير الدنيا والآخرة، ويدعو للمسلمين بدعاء فيه صلاح العباد والبلاد، و يدعو أيضاً بتمكين المسلمين، وإذلال الشرك والمشركين، فإذا دعا رُجي بذلك أن تستجاب هذه الدعوة من مسلم مخلص، ناصح في قوله وعمله.

---

(١) سورة العنكبوت آية: (٤٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٤٤) رقم الأثر ٣٥٣٨. وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/١١٢) رقم الأثر: ٤٩٧٠.

حال السَّلف مع التوبة والاستغفار في رمضان

فضل التوبة والاستغفار.

ينبغي للإنسان المسلم أن يكثر من الاستغفار في سائر أيام السنة، وفي هذا الشَّهر خاصة، فرمضان شهر التوبة والاستغفار، والعودة إلى الله.

وقد حثّنا الله عز و جل على الاستغفار وأمرنا به، فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾[1].

وأثنى جلَّ وعلا على المؤمنين المستغفرين في الأسحار، ومدح أهله فقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾[2]، وقال عز من قائل: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[3]. فإذا وُفِّقت لقيام مثل هذه الليالي، فأكثر من الاستغفار، واطلب العفو، أي: اطلب من ربك أن يعفو عنك، فإنه تعالى عفوٌّ يحب العفو.

والعفُوُّ من أسماء الله تعالى، ومن صفاته، وهو الصفح والتجاوز عن الخطايا وعن المخطئين.

---

(١) سورة المزمل آية: (٢٠).

(٢) سورة آل عمران آية: (١٧).

(٣) سورة الذاريات آية (١٧-١٨).

وأخـــبر سبحـــانه أنه يغفر لمن استغفره فقـــال جل في علاه: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[١].

فالاستغفار من أعظم أسباب المغفرة والعتق من النار؛ لأنه دعاء، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره.

حال السَّلف مع التوبة والاستغفار.

كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم من أحرص الناس على الاستغفار وقدوتهم في ذلك سيد الخلق رسول الله ﷺ فقد كان النبي ﷺ يستغفر في اليوم والليلة مائة مرة.

فعن الأغر المزني رضي الله عنه ، وكانت له صحبة، أن رسول الله ﷺ، قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة»[٢].

وعن أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: "والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة"[٣] .

عبد الله بن بسر رضي الله عنه يقول: قـــال الـــنبي ﷺ: «طـــوبى لمـــن وجـــد في صـــحيفته اســـتغفارا كثيرا»[٤].

(١) سورة النساء آية: (١١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٥) رقم الحديث:٢٧٠٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٦٧) رقم الحديث: ٦٣٠٧.

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٧١) رقم الحديث: ١٠٢١٦. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٢/ ٧٢٩).

وعن نافع رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنه كان يحيي الليل صلاة»، ثم يقول: «يا نافع أسحرنا؟» فيقول: لا، «فيعاود الصلاة»، ثم يقول: «يا نافع أسحرنا؟» فأقول: نعم «فيقعد فيستغفر ويدعو حتى يصبح»(١).

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخرج من ناحية داره مستخفيا، ويقول " اللهم دعوتني فأجبتك، وأمرتني فأطعتك، وهذا السحر فاغفر لي فقيل له: أرأيت قولك وهذا السحر فاغفر لي؟ فقال: إن يعقوب عليه السلام حين سَوَّف بنيه أخرهم إلى السحر"(٢).

إن الفرصة المثلى أخي المسلم.. أختي المسلمة، أن نستغفر الله تعالى في حال قوتنا، وقدرتنا، إذ أنَّ أكمل الاستغفار وأصدق التوبة؛ أن يقلع الإنسان عن المعصية وهو قادر عليها لاسيما في هذا الشَّهر شهر التوبة والاستغفار، والرجوع إلى الله عز وجل.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١٢/٢٦٠) رقم الحديث: ١٣٠٤٣. قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير أسد بن موسى، وهو ثقة. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/٣٤٧).

(٢) انظر: مختصر قيام الليل للمروزي (ص: ٩٦)

حال السَّلف مع قيام الليل في رمضان

فضل قيام الليل:

أخي الحبيب: ما أجمل أيام هذا الشَّهر الكريم، وما أنفس أوقاته، صيامٌ بالنهار، وقيامٌ بالليل.

يقطعُ المسلمُ نهارَه مُمسِكاً عن الشهوات، ويقضي ليله قائماً متذللاً بين يدي خالقه، يردد كلامه في صلاته ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ ﴾[1].

يحتسب بقيامه بين يدي خالقه الأجر والثواب، يطمع أن يمحو الله كل ما سلف من سيئ أعماله، وأن يتجاوز عن غفلته وتفريطه وإهماله، يستمع إلى قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[2] وإلى قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾[3] وإلى قوله تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ ﴾[4] فيزداد شوقاً وقرباً، وطاعة وخضوعاً.. يتلو قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ ﴾[5]. فيسعد ويفرح

---

(١) سورة المزمل آية: (٦).

(٢) سورة الأسراء آية: (٧٩).

(٣) سورة السجدة آية: (١٦).

(٤) سورة الذاريات آية: (١٧).

(٥) سورة الفرقان الآيات: (٦٤-٦٣).

ويرجو أن يكون ممن أضافهم الله عز وجل إلى نفسه وياله من شرف، ويالها من مَكْرُمَة أن يشعر الإنسان أنه عبدٌ لله كونه حاز على صفة من صفات عباد الله وهي قيام الليل..

يؤدي الفرائض بخشوع واطمئنان ثم يطمح لأفضل النوافل بعد الفرائض فيرشده الحبيب ﷺ إلى أن أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل"(١).

يأمل أن يكون من رهبان الليل ليلحق بالرعيل الأول.. فقد أخبرنا ﷺ أن قيام الليل كان دأب الأنبياء والأولياء والصالحين من الأمم قبلنا، وأخبرنا أيضاً ما يترتب على ذلك من الأجور، والحسنات، والفوائد العظيمة..

قال ﷺ : "عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم"(٢).

يجدُّ ويجتهدُ حتى يلحقَ بالركبِ فيقتدي برسولِ الهدى، ونور الدجى ﷺ، ثم يطلب خصال الخير التي تدخله جنة ربه عزوجل فيجدها في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"(٣).

يَحرصُ ألا يخرج من المسجدِ حتى يُكمِلَ صلاة الليل مع إمامه ليكتب له قيام ليله كاملة قال ﷺ : «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٨٢١) رقم الحديث: ١١٦٣.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٥٥٣) رقم الحديث: ٣٥٤٩. وقال: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال. قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع (٢/٧٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي في السنن (٤/٦٥٢) رقم الحديث: ٢٤٨٥. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن (٢/٥٠) رقم الحديث: ١٣٧٥. قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح أبي داود (٥/١٢٠) .

حال السَّلف مع قيام الليل في رمضان:

قيام الليل عبادة عظيمة حرص عليها الرعيل الأول من السَّلف الصالح حرصًا شديدًا، فقد كان قيام الليل دَأْب النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم قالت عائشة رضي الله عنها: «لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض، أو كسل، صلى قاعدا» [(١)] ليس هذا فحسب، بل كان ﷺ يقوم حتى تتفطر قدماه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا"[(٢)].

وانظر رحمني الله وأياك إلى صحابة المصطفى ﷺ؛ وحرصهم رضي الله عنهم على هذه العبادة العظيمة في رمضان، فقد خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس، فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس، فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج ﷺ، فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، فتشهد، ثم قال: «أما بعد، فإنه لم يخف علي مكانكم، لكني خشيت أن تفرض عليكم، فتعجزوا عنها»[(٣)].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُصَلِّي من الليل ما شاء الله؛ حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم الصلاة الصلاة.. ويتلو: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾[(٤)].وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ هذه الآية: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٢/٣٢) رقم الحديث: ١٣٠٧. قال الإمام الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر: صحيح أبي داود (٥/٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٥٠) رقم الحديث: ١١٣٠. ومسلم في صحيحه (٤/٢١٧١)، رقم الحديث: ٢٨١٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/١١) رقم الحديث: ٩٢٤، ومسلم في صحيحه (١/٥٢٤) رقم الحديث: ٧٦١.

(٤) سورة طه آية: (١٣٢).

﴿قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾ [1]. قال ذاك عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"[2].

قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذلك؛ لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالليل وقراءته؛ حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة[3].

وعن أبي سعيد، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صلى ركعتين جميعا، كتبا في الذاكرين والذاكرات»[4].

أخي المسلم؛ كيف يمكنك أن تترك قيام الليل في ليالي شهر رمضان، وفي غيره من الشهور بعد قراءة هذه الفضائل، وهذه الصفات التي وصفهم فيها الله عز وجل؟!!

كيف لك أن تلهو وتلعب وتترك الأنس والقرب من رب رحيم، وجواد كريم؟!! كيف ينبغي لنا أن تتغافل عن هذه العبادة العظيمة بعدما رأينا وقرأنا سير السَّلف الصالحين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟!!

نسأل الله عز وجل بمنَّه وكرمه أن يجعلنا من المسارعين إلى الخيرات على الوجه الذي يرضاه عنه، إنه جواد كريم..

---

(١) سورة الزمر آية: (٩).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥٦/١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨٨/٧).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن (٣٣/٢) رقم الحديث: ١٣٠٩. قال الألباني: صحيح الإسناد على شرط مسلم. انظر: صحيح أبي داود (٥٣/٥).

حال السَّلف في تعويد الأطفال على الصيام.

أخي المسلم.. أختي المسلمة.. عودوا أطفالكم على الصيام في رمضان، فرمضان مدرسةٌ يتعلمُ فيها الصغير والكبير، والغني والفقير، أُمُرُوهم بالصوم إذا أطاقوه تمرينًا لهم على الطاعة ليألفوها بعد بلوغهم، اقتداءً بالسَّلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُصوِّمون أولادهم وهم صغار، فيجعلون لهم اللعبة من العهن[1] فإذا بكوا من فَقْدِ الطعام أعطوهم اللعبة يتلهون بها.

فعن الربيع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من أصبح مفطرا، فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما، فليصم»، قالت: فكنَّا نصومه بعدُ، ونُصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[2].

قال المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ: وفى هذا الحديث من الفقه أنَّ من حمل صبيًا على طاعة الله، ودرَّبه على التزام شرائعه فإنَّه مأجور بذلك، وأنَّ المشقة التي تلزم الصبيان في ذلك غير محاسب بها من حملهم عليها[3].

وروي أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ برجلٍ قد أفطر في رمضان، فلما رُفِعَ إليه عثر، فقال: على وجهك، ويحك وصبياننا صيام، فضربه، وسيَّره إلى الشام، وكان إذا غَضِبَ على أحد سيَّره إلى الشام[4].

---

(١) العهن: قال ابن فارس: العين والهاء والنون أصل صحيح يدل على لين وسهولة وقلة غذاء في الشيء. والمراد به هنا: هو الصوف المصبوغ انظر: مقاييس اللغة، باب: العين والهاء وما يثلثهما. (٤/ ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧/٣) رقم الحديث: ١٩٦٠.

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠٧/٤)

(٤) أخرجه ابن الجعد في مسنده، (ص: ١٠١). قال الشوكاني: وهذا الأثر وصله سعيد بن منصور والبغوي في الجعديات بلفظ " إن عمر بن الخطاب أتي برجل شرب الخمر في رمضان، فلما دنا منه جعل يقول للمنخرين والفم انظر: نيل الأوطار (٢٣٥/٤).

وعن رزينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يأمر مرضعاته في عاشوراء ورضعاء فاطمة فيتفل في أفواههم ويأمر أمهاتهم أن لا يرضعن إلى الليل"[١].

وعن هشام بن عروة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان أبي يأمر الصبيان بالصلاة إذا عقلوها، والصيام إذا أطاقوه»[٢].

وكثير من الأولياء اليوم يغفلون عن هذا الأمر ولا يأمرون أولادهم بالصيام، بل إنَّ بعضهم يمنع أولاده من الصيام مع رغبتهم فيه، يزعم أنَّ ذلك رحمة بهم، والحقيقة أن رحمتهم هي القيام بواجب تربيتهم على شعائر الإسلام وتعاليمه القيمة، فمن منعهم من ذلك أو فَرَّطَ فيه كان ظالما لهم ولنفسه أيضا، نعم، إن صاموا فرأى عليهم ضررًا بالصيام فلا حرج عليه في منعهم منه حينئذ.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع العلماء أنه لا تلزم العبادات والفرائض إلا عند البلوغ، إلا أن كثيرًا من العلماء استحبوا أن يُدَرَّبَ الصبيانُ على الصيام والعبادات رجاء بركتها لهم، وليعتادوها، وتسهل عليهم إذا لزمتهم[٣].

أما بالنسبة لتعليمهم فليكن بالتدرج، فمثلاً اليوم الأول يصوم جزءاً من النهار، وفي اليوم الثاني كذلك، وفي اليوم الثالث نصف النهار، وهكذا حتى يتعود الطفل على الصيام ويألفه، وعلى ولي الأمر من أب أو أم أن يستخدموا اللعب والقصص مع الأطفال، وقبل ذلك إلحاقهم بمدارس التحفيظ المنتشرة في هذا الزمن –ولله الحمد– حتى ينسوا الرغبة إلى الأكل والشرب، ولهذا جاء في بعض روايات مسلم قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم"[٤]، وبهذا يطيق الصغير الصيام ويعتاده، لكن لا يكون ذلك من باب الواجب، فلا يجب الصيام إلا على من

---

(١) أخرجه بن خزيمة في صحيحه (٣/٢٨٨) رقم الحديث: ٢٠٨٩. وقد توقف ابن خزيمه في صحته، لكن ابن حجر قال: إسناده لا بأس به. انظر: فتح الباري لابن حجر (٤/٢٠١) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/١٥٣) رقم الأثر: ٧٢٩٣.

(٣) انظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤/١٠٧)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٧٩٩) رقم الحديث: ١١٣٦.

بلغ، أما ما قبل ذلك فحال السَّلف الصالح تعويد الصبيان على الصيام، فالصغير غير مكلف ولكن يعود على الصيام من باب التمرين، ومن المحزن أنك تجدُ اليوم بعض الشباب لا يطيق الصوم ولا يستطيعه، والسبب في ذلك أنه لم يألفه و لم يتعود عليه، وهنا تظهر ثمرة تعويد وتمرين الأطفال على الصيام.

حال السَّلف مع العشر الأواخر من رمضان

استحباب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان.

كان السَّلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أحرص الناس على فعل سنة الاعتكاف، والقيام بها لما فيها من الأجر العظيم، ولمناسبتها للعشر الأواخر التي تُلْتَمس فيها ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر.

فهذا نبينا ﷺ كان يعتكف في كل رمضان عشرة أيام؛ فلمَّا كان العام الذي قبض فيه، اعتكف عشرين يومًا في مسجده ﷺ.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ «يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما» (١).

وقد كُنَّ أزواجه ﷺ رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن يعتكفن بعد موته ﷺ في المسجد النبوي.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥١/٣) رقم الحديث: ٢٠٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨/٣) رقم الحديث: ٢٠٢٦. ومسلم في صحيحه (٨٣١/٢) رقم الحديث: ١١٧٢.

وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذا اعتكفت في المسجد النبوي تعتكف العشر الأواخر من رمضان، ولا تدخل بيتها إلا لحاجة الإنسان التي لابدَّ منها، وكانت تمرُّ بالمريض من أهلها فتسأل عنه وهي تمشي لا تقف[1].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ أراد أن يعتكف، فلما انصرف إلى المكان الذي أراد أن يعتكف فيه إذا أخبية، خباء حفصة، وخباء زينب، فقال: "آلبر تقولون بهنَّ، ثم انصرف فلم يعتكف حتى اعتكف عشرا من شوال"[2].

وذُكر عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه رأى أهل الفضل - يعني في زمانه والإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أدرك زمان صغار التابعين- يقول: إذا اعتكفوا العشر الأواخر من رمضان، لا يرجعوا إلى أهاليهم حتى يشهدوا العيد مع الناس. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وبلغني ذلك عن أهل الفضل الذين مضوا، وذلك أحسن ما سمعت. [3]. وهذا دليل على قوة الإرادة وعظيم الانقطاع لله تبارك وتعالى.

فالاعتكاف من العبادات التي تجمع كثيراً من الطاعات؛ من التلاوة والصلاة والذكر والدعاء وغيرها.

ومن المؤسف اليوم أنَّك تجدُ بعض المعتكفين يتساهلون كثيرا في استغلال لحظات الاعتكاف بالبر والطاعة والقرب من الله.. فالبعض يضيعها بالنوم، والبعض الآخر بالأحاديث الدنيوية والقيل والقال فيفوتون على أنفسهم من الحسنات الشيء الكثير والله المستعان!!..

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣/٣٨٩) رقم الحديث: ٣٣٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٤٩) رقم الحديث: ٢٠٣٣.

(٣) انظر: موطأ مالك (٣/٤٥٤-٤٥٥).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولا لتعلم علم وإقراء قرآن بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه، وإلى ذلك ذهب الإمام أحمد أخذاً بحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)].

ومن أسرار الاعتكاف صفاء القلب والروح إذ أنَّ مدارَ الأعمالِ على القلبِ كما في الحديث "ألا و أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[(٢)]

فلما كان الصيامُ جُنَّةٌ للقلبِ من الصوارفِ الشهوانيةِ ومن فضولِ الطعامِ والشرابِ والنكاحِ، فكذلك الاعتكاف ينطوي على سرٍ عظيمٍ ألا وهو حماية العبد مما يترتب على الصحبة من قيل وقال، ونحو ذلك من صوارف الدنيا، التي تُفرق أمر القلب وتشتته، وتفسدُ اجتماعه على طاعة الله وتقواه.

فــلا تشتغــل إلا بما يكســب العُــلا ... ولا تــرض للنفس النفسيــة بالــردى
وفي خــلــوة الإنســان بالعــلم أُنسه ... ويسلــم ديــن المــرء عنــد التوحــد
ويســلــم مــن قال وقيــل ومن أذى ... جليــس ومــن واش بغيــظ وحســدِ
وخــير مــقــام قمــت فيــه وحلــية ... تحليــتهــا ذكــر الإلــه بمســجد[(٣)]

فينبغي على المعتكف طاعة الله وذكره، وأن يقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، ويعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه فما بقي له همٌ سوى الله وما يرضيه عنه[(٤)].

---

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠/١) رقم الحديث: ٥٢. ومسلم في صحيحه (١٢١٩/٣).

(٣) انظر: مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار لعبد العزيز السلمان (١٠٩/٣).

(٤) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٩٣)

وقفات مع حديث عائشة رضي الله عنها:

للعشر الأواخر من رمضان عند رسولنا الكريم ﷺ وسلفنا الصالح رضي الله عنهم، أهمية كبيرة، ولهم فيها هدى خاص، فقد كانوا أشد ما يكونون حرصاً فيها على الطاعة.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا دخلت العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله" هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم: "أحيا الليل وأيقظ أهله، وشد المئزر"(١).

وفي رواية لمسلم عنهارضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يجتهدُ في العشر الأواخر ما لا يجتهدُ في غيره وكان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشَّهر"(٢).

وقد تضمن حديث عائشة رضي الله عنها على عدة وقفات سنبين بعضها في الأسطر التالية:

الوقفة الأولى: إحياء الليل.

فقول عائشة رضي الله عنها"أحيا ليله" يحتمل أن المراد إحياء الليل كله، ويحتمل أغلب الليل فقد جاء أيضا من حديث أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: لا أعلم رسول الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا قام ليلة حتى أصبح، ولا صام شهراً كاملاً قط غير رمضان(٣). فعلى هذا يكون أحياء الليل المقصود به أنه يقوم أغلب الليل، ويحتمل أنه كان يحي الليل كله كما جاء في بعض طرق الحديث.

ومعنى إحياء الليل: أي استغرقه بالسهر في الصلاة والذكر وغيرهما(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣ /٤٧) رقم الحديث:٢٠٢٤. ومسلم في صحيحه (٨٣٢/٢) رقم الحديث: ١١٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٣٢/٢) رقم الحديث:١١٧٥ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٥١٣/١) رقم الحديث: ٧٤٦.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٧١/٨).

الوقفة الثانية: إيقاظ الأهل والأولاد للصلاة.

فقول عائشة رضي الله عنها "أيقظ أهله"

أي: أيقظهم للصلاة والذكر والدعاء، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي(١).

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: صُمنا مع رسول الله ﷺ رمضان، فلم يقم بنا شيئا من الشَّهر حتى بقي سبع، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل، فقلت: يا رسول الله، لو نفلتنا قيام هذه الليلة، قال: فقال: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة» ، قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بقية الشَّهر"(٢).

ففي هذا الحديث حَثٌ لنا أخي المسلم على إيقاظ أهلنا، ومتابعتهم، وتحفيزهم حتى يدركوا من فضائل ليالي هذا الشَّهر الكريم الخير الكثير، فلا ينبغي لنا أن نقتصر بالعمل على أنفسنا ونترك أهلنا في نومهم، أو أمام شاشات التلفزيونات، والجوالات، ونحو ذلك التي إن لم تكن مشاهدتها مضيعة للوقت في الأمور المباحة، كانت فيما هو أطمُّ وأشدُّ، من مشاهدة أمور لا ترضي الله عز وجل من المسلسلات، والأفلام، والأغاني، ونحو ذلك، خاصة وأن أهل السوء ينشطون في هذا الشَّهر بعد أن يُوكِل إليهم الشيطان مهامه فيقومون بها أتمَّ قيام وأكمله.

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (٢/٥٠) رقم الحديث: ١٣٧٥. قال عنه الإمام الألباني: صحيح. انظر: إرواء الغليل (٢/١٩٣).

وخرج الطبراني من حديث علي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ «كان يُوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة»[1].

قال سفيان الثوري رحمه الله: "أحب إليَّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك"[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقال لهم: «ألا تصلون؟»، فقال علي رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قال له ذلك، ولم يرجع إليه شيئا، ثم سمعه وهو مدبر، يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾[3][4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت»[5]، وورد الترغيب في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة ونضح الماء في وجهه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت، نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى، نضحت في وجهه الماء»[6].

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (١٥٢/٣) رقم الحديث: ٧٩٥. وقال: حسن صحيح.

(٢) انظر: لطائف المعارف (٢٠٧/١).

(٣) سورة الكهف آية: (٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٧/٩) رقم الحديث: ٧٣٤٧. ومسلم في صحيحه (٥٣٧/) رقم الحديث: ٧٧٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٨/١) رقم الحديث: ٥١٢.

(٦) أخرجه أبو داود في السنن (٣٣/٢) رقم الحديث: ١٣٠٨. قال الإمام الألباني: إسناده حسن صحيح. انظر: صحيح أبي داود (٥١/٥).

يا نائـم الليـل كـم ترقــد ... قم يا حبيـبي قـد دنـا الموعـد
وخــذ مــن الليــل وأوقــاتـه ... وردًا إذا مــا هــجــع الــرقــد
مــن نام حتى ينقــضـي ليلــه ... لم يبــلــغ المـنزل أو يجـهـد
قل لــذوي الألبــاب أهل التقى ... قنطرة العــرض لكم موعــد(١).

الوقفة الثالثة: اعتزال النساء.

قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "شدَّ مئزره": أي أن النبي ﷺ كان يشدُّ المئزر، واختلفوا في تفسيره فمنهم من قال: هو كناية عن شدة جده واجتهاده في العبادة كما يقال: فلانٌ يشدَّ وسطه ويسعى في كذا، وهذا فيه نظر فإنها قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "جَدَّ وشد المئزر" فعطفت شد المئزر على جِدِّهِ، والصحيح: أن المراد: اعتزاله النساء في هذه العشر، وانشغاله بالعبادة والطاعة وذلك لتصفو نفسه عن الأكدار والمشتهيات فتكون أقرب لسمو القلب إلى معارج القبول وأزكى للنفس.

والتفسير باعتزال النساء هو تفسير السَّلف والأئمة المتقدمون منهم: سفيان الثوري، وغيره(٢).

وقد كان النبي ﷺ غالبا يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع مــن قربــان النســاء بــالنص والإجماع، وقــد قالــت طائفــة مــن السَّــلف في تفســير قولــه تعــالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(٣)، إنه طلب ليلة القــدر، والمعــنى في ذلــك: أن الله تعــالى لما أباح مباشرة النساء في ليالي الصيام إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخــيط الأســود أمــر مــع

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة البقرة آية: (١٨٧).

ذلك بطلب ليلة القدر لئلا يشتغل المسلمون في طول ليالي الشهر بالاستمتاع المباح فيفوتهم طلب ليلة القدر، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجد من الليل خصوصًا في الليالي المرجو فيها ليلة القدر [١].

حرص السَّلف على التماس ليلة القدر وتحريهم لها.

تُعَدُّ ليلة القدر أفضل الليالي؛ لأنَّ العمل الصالح فيها خير من العمل الصالح في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قال تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [٢]، كما أنها الليلة المباركة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، والتي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [٣]. وورد في فضلها بالإضافة إلى ما سبق، قول الله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ [٤].

قال القرطبي رحمه الله: تهبط أي: -الملائكة- من كل سماء ومن سدرة المنتهى فيترلون إلى الأرض ويؤمنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر [٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٥٠٧).

(٢) سور القدر آية: (٣).

(٣) سورة الدخان الآيات (٣-٤).

(٤) سور القدر آية: (٤).

(٥) تفسير القرطبي (٢٠/١٣٣).

وتنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالرحمة بأمر الله تعالى، وبكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة.

ومن فضائل هذه الليلة أنها سلام وخير كلها حتى طلوع الفجر، قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾[1]. أي: أن ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شرَّ فيها إلى طلوع الفجر[2].

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي ليلةٌ سالمةٌ لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءً ولا أذى[3].

وقد أرشدهم رسول الله ﷺ إلى تحريها في العشر الأواخر، وفي الوتر خاصة فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أن النبي ﷺ قال: "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان"[4] وفي رواية للبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[5] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وجاء من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله ﷺ إلا في العشر الأواخر فإني سمعته يقول: "التمسوها في تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة" وكان أبو بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فإذا دخل العشر اجتهد[6].

---

(١) سور القدر آية: (٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٣٤/٢٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٤٤٤/٨)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧/٣) رقم الحديث: ٢٠٢٠. ومسلم في صحيحه (٨٢٨/٢) رقم الحديث: ١١٦٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦/٣) رقم الحديث: ٢٠١٧.

(٦) أخرجه الترمذي في السنن (١٥١/٣) رقم الحديث: ٧٩٤. وقال عنه: «هذا حديث حسن صحيح».

في ختام شهر رمضان:

أخواني الكرام.. علينا أن نختم أعمالنا كلها بالتوبة والاستغفار، سواء في قيام هذه الليالي أو غيرها من سائر الأعمال، بل نختم عملنا كله بما يدلُ على تعظيم الله تعالى، وذكره والثناء عليه.

وقد أمر الله عباده بأن يختموا شهرهم بالتكبير في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[١] ولكن، ما مناسبة ختم رمضان بالتكبير بعد إكمال العدة؟

إنَّ الإنسان إذا كبّر الله استحضر عظمته وجلاله، وكبرياءه سبحانه، فاحتقر نفسه واحتقر أعماله مهما عمل، و لم يذكر شيئاً من أعماله و لم يفتخر بها، وبمثل ذلك يكون محلاً للعفو ولقبول الحسنات، فإذا عرفت بأنَّ ربك أهل لأنْ يعبد، وأهل للثناء والمجد، وأهل لأنْ يحمد، وأنَّك لو عبدت الله تعالى بكل ما تستطيعه لما أديت أقل القليل من حقه عليك، **كما يقول بعضهم:**

سبحـــان من لو سجـــدنا بالعيون له — على حمـــى الشوك والمحمـــى من الإبـــر

لم نبلغ العشـــر من معاشـــر مِنّتـــه — ولا العشير ولا عـــشـــراً من العـــشـــر

فنحن إذا أنهينا صيامنا وقيامنا، نعرف أن ربنا هو الكبير الأكبر، وأنه أهل لأن يكبّر، ويعظّم، وأنه أهل للعبادة، ولذلك يُروى أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة وقابلوا ربهم اعترفوا بالتقصير، وقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك[٢].

(١) سورة البقرة آية: (١٨٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١٨٤/٢) رقم الحديث: ١٧٥١.

ويقول الرسول ﷺ: «لا يقولنَّ أحدكم إني صمت رمضان كله، وقمته كله، قال الراوي: فلا أدري، أكره التزكية، أو قال: لا بد من نومه أو رقده؟ أو تقصيره»[(١)].

وكلا الأمرين حق، فإن الإنسان منهي أن يزكي نفسه قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[(٢)]، وقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾[(٣)].

وقد كان السَّلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء هم الذين يقول الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾[(٤)].

رُوي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾[(٥)(٦)].

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٤/ ٨٥) رقم الحديث: ٢٤١٥. قا ل شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) سورة النجم آية: (٣٢).

(٣) سورة النساء آية: (٤٩).

(٤) سورة المؤمنون آية: (٦٠).

(٥) سورة المائدة آية: (٢٧).

(٦) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٧٥).

قال أبو العتاهية رحمه الله:

نعـــى لك ظل الشبـــاب المشيـــب ... ونادتـــك باســـم ســـواك الخطـــوب

فكن مستعـــدًا لـــداعي الفنـــاء ... فكـــل الـــذي هـــو آت قـــريـــب

ألسنـــا نـــرى شهـــوات النفـــو ... س تفنى و تبقـــى علينـــا الـــذنـــوب

يخـــاف عـــلى نفسه من يتـــوب ... فكيف يكـــون الـــذي لا يتـــوب(١)

إخواني المسلمين: اجعلوا خاتمة شهركم التوبة إلى الله تعالى من معاصيه، والإنابة إليه بفعل ما يرضيه، ولا ترجعوا إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام، فالرضاع إنما يصلح للأطفال لا للرجال، ولكن لا بد من الصبر على مرارة الفطام، فإن صبرتم تعوضتم عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في القلوب، ومن ترك شيئا لله لم يجد فقده، عوضه الله خيرا منه: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾(٢).

---

(١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١١٩/٣)، لطائف المعارف (٢٤٤/١).

(٢) سورة الأنفال آية: (٧٠).

فهرس

مركز البحث العلمي

قُطُوفٌ مِنْ أَحْوالِ السَّلَفِ في رمضان في مأرز الإيمان

@ReasahAlharmai